تمظهرات النص القرآني وأثرها في الشعر الجزائري المعاصر

د.عثمان مقيرش
جامعة المسيلة

ملخص الدراسة:

لو بحثنا في القرآن الكريم لوجدنا الكثير من الألفاظ تبدو من الوهلة الأولى أنها نشاز في أذن السامع، غير انه لما نضعها في سياقها العام لانتفى ما بدر إلى ذهنه في لمح البصر، فكلمة يصطرخون مثلا؛ جرسها الغليظ تصور لسامع بوضوح غلظ الصراخ المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، غير أنه لما وضعت في سياقها العام كان لها من الانسجام والاتساق العجيب في القرآن الكريم.

وقد استعمل شعراؤنا كثيرا من الألفاظ القرآنية، أدّت وظيفتها الجمالية على أكمل وجه فزادت نصوصهم اتساقا وانسجاما، ومن بين هذه الألفاظ:

لفظتي الحلال والحرام ، الآزفة، والدخان ، القارعة، سبحان،تسّاقط، ترتيل، التراقي، جنة، نار... .

الكلمات المفتاحية: اللفظ، السياق، الجمالية، الدلالة، الأثر، القرآن، الشعر، المعاصر، الجزائري، ....

Abstract

If we look at the Holy Quran, we will find a lot of words that seem at first sight to be a cliche in the ear of the hearer, but when we put them in their general context, what has come to the mind dispears in the blink of an eye. For example, the word “scream” in the Quran very clearly resembles the thick bell sounds, and the loud screams emanating from hooves crowded with coarse voices, but when it is placed in its general context, it has an amazing harmony and consistency in the Holy Quran. Our poets used many of the Quranic words, which added to their texts aesthetic function and increased harmony and consistency. Among these words are the following: halal and haram, al-Azziffah, and Dukhan, al-Qari’ah, Subhan, Tassakut, tarteel, Taraki, Paradise, Hell

Keywords: Pronunciation, context, aesthetic, significance, impact, Quran, poetry, contemporary, Algerian.

كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في اللغة العربية، منذ نزوله؛ فقد وسَّع عدد مفرداتها، ورقّق أسلوبها، وأكسبها مقدرة على احتواء الموضوعات، والأفكار الجديدة التي جاء بها الإسلام، فجعلها لغة حضارة وعلم وتشريع، بعدما كانت لغة بداوة وغلظة وخشونة.

وأول من تأثر بلغة القرآن الكريم الشعراء، لرهافة حسهم ورقة نفوسهم، وصفاء ذوقهم فزادتهم إبداعا وفنا.

ولجودة ألفاظ القرآن الكريم وسلاستها، وملاءمتها للذوق الفطري السليم وحسن جرسها ومواءمتها للسياق، ووقعها في النفس،جعلها تأسر لب الشعراء عامة، وشعرائنا الجزائريين المعاصرين بصفة خاصة ولحسن اللفظة وقبحها قيمة جمالية تتأثر بطبيعة البناء اللفظي للكلمة وعلى هذا فاللغة تحرص على ائتلاف الجرس، وحسن التعبير، وخفة الأداء، فهجرت كل خشن وتجافت عن كل نشاز ، يؤذي حركات الصوت وتردد النفس.

سنحاول في بحثنا هذا تتبع جمالية اللفظ القرآني في نظم شعرائنا المعاصرين، وكيف زادهم هذا التوظيف جمالية في نصوصهم الشعرية، زاد من شعرية لغتهم، وجمال أسلوبهم، وساعدهم على توصيل أفكارهم ورؤاهم للمستمع/المتلقي/المرسل إليه.

- لفظتي الحلال والحرام:

يقول كمال سقني في: بحّ الكلام

لا دين لا أخلاق في أحكامها فالدين و الأخلاق لا تستعظم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا الحرام على الموائد جائز وإذا الحلال من الضلال يحرم

ما عاد منا في الحياة تهيب إنا بقايا أمة تتقزم...[1]

يتأسف الشاعر هنا عما آل إليه الوضع المتأزم في البلاد-الجزائر-وذلك من خلال تداخل الأشياء، واختلاط المفاهيم بعضها ببعض فصار لا يفهم الحلال من الحرام، لكثرة المحللين والمحرمين وغياب الضمير والوازع الديني، فصار الحرام حلالا، والحلال حراما، وهذا راجع إلى غياب الوعي الديني والحس الوطني، وهو بهذا يريد القول بأنه يكفي ما نحن فيه، ولابد من نظرة التصحيح وإعادة تشكيل الفهم البشري من خلال الأوامر والنواهي، التي جاء بها الشارع الحكيم، فتستقيم أمور البلاد والعباد.

والشاعر هنا متأثرا بقوله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ[2]

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية: "ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئا مما حرم الله، أو حرم شيئا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهّيه، و"ما" في قوله{لما} مصدرية، أي لا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم ثم توعد على ذلك فقال: "إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون"[3].

كما أن لفظ "الضلال" قرآني هو الآخر وقد ذكره الشاعر في المثال السابق قال تعالى: فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ[4].يقول الزمخشري في الكشاف: "فماذا بعد الحق إلا الضلال" يعني: أن الحق والضلال لا واسطة بينهما، فمن تخطى الحق وقع في الضلال"[5].

وهذا ما قصده الشاعر؛ من أحلّ الحرام وقع في المحظور وأضلّ السبيل ولذلك فتحريم الحلال ضلال، كما أن تحليل الحرام ضلال أيضا، وهذا لجهل الناس وضلالهم عن الحق وسبيل الرشاد والهداية، ولذا تقزّمنا؛ أي صرنا أقزاما تافهين مع أننا الأمة الخيرية.

قال تعالى: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ[6]

فبدل الأمر بالمعروف والالتزام بالأخلاق، لنرتقي في مصاف الأمم ونعكس ذلك تماما، والشاعر هنا استعمل أسلوبا مميزا وهو تعريف الأشياء مقارنة بأضدادها كما قيل.

وهذا فن من فنون البلاغة العربية. وهي الرسالة التي أراد شاعرنا تبليغها للمتلقي/جمهور المستمعين، لإعادة النظر في حقيقة الأشياء، والتبصّر أثناء الحكم واستعمال المنطق العقلي بدل الحجاج الذي لا طائل منه.

- لفظ الحديد: وقد ورد هذا اللفظ أيضا فيشعر شعرائنا.

يقول عقاب بلخير في: الدخول إلى العصر القادم.

لكم أن تثوروا على صفحة من حديد

تتقيأ أفواهكم نكسات المرارة

وأياديكم في سراويل رجعتكم

تلتمس ذاكرة من حديد

كيف أعكس هذه المرايا

وكيف سنعرف أنا جميع بغير وطن.[7]

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

إن الشاعر هنا يتجرع طعم المرارة مما آل إليه الحال، فهو يتهكم بأسلوبه على الآخرين الذين يتبجحون بالثورة، أو التغيير وهم في الحقيقة يلوكون الكلام ليس إلا، ويرجعون إلى ذاكرة صدئة لم تأت أكلها آنذاك، فكيف اليوم ونحن بلا وطن وندعي أن لنا وطنا، فالشاعر إذن يتألم ويحترق، ويريد إيصال ما يرمي إليه عن طريق الاستفهام والسخرية،وعلى الجميع أن يفيق ويستيقظ مما هو فيه من مآزق وأننا بلا وطن، ما لم نرجع إلى الرشد.

وقد استمد الشاعر معناه متأثرا بالمفردة القرآنية وصياغتها في قوله عز وجل: مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ[8]. يقول سيد قطب في الظلال: "والمشهد هنا عجيب إنه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد، مشهد الخيبة في الأرض...وهو يسقى من الصديد السائل من الجسوم، يسقاه بعنف فيتجرعه غضبا وكرها، ولا يكاد يسيغه لقذارته ومرارته"[9].

لكن الشاعر لا يقصد بلفظ الصديد. المعنى القرآني الصرف، لكنه يقصد الماوراء، أي صديد الفكر والذاكرة التي تآكلت وصدئت فأصابها ما يشبه الصديد المذكور آنفا، في الآية. وهو بهذا يحاول إفهام المستمع أن ما حدث للأمة والوطن شيء مقزز تأنفه وتأباه الذاكرة الحية، وبالتالي يجب الإقلاع والإسراع لمحوا وإزالة ما علق بذهن الأمة وفكرها من صدأ وحديد.

- لفظ الآزفة، والدخان:

يقول عثمان لوصيف في: النحلة والغبار

هل أزفت الآزفة؟

دخان يغشى سماء الوجوه

وقف على حافة النزيف وحملق أمامه

فجأة أحاطت به جحافل الدنيا وسددت إليه الحراب

كيف يمكنه أن يرد الرجوم واللعنات؟

كيف.. كيف يتفادى الطعنات؟[10]

فالآزفة لفظ من الألفاظ القرآنية، قال تعالى: أَزِفَتِ الْآزِفَةُ[11]،جاء في كتاب العمدة في غريب القرآن:

الآزفة: القيامة[12].

والشاعر لا يقصد هذا أيضا؛ أي يوم القيامة وإنما يقصد بها الدنو والاقتراب، وجاء في الجامع لأحكام القرآن قوله تعالى: "أزفت الآزفة أي: قربت الساعة ودنت القيامة. وسماها آزفة، لقرب قيامها عنده، كما قال: "يرونه بعيدا ونراه قريبا"المعارج-6-7-، وقيل سماها آزفة لدنوها من الناس وقربها منهم ليستعدوا لها، لأن كل ما هو آت قريب"[13].

وهذا المعنى هو الأقرب إلى ما يرمي إليه شاعرنا، أي لدنوها من الناس وقربها منهم، وهو ما ذكرناه آنفا، فالمراد إذن ما حل بالبلد شبيه الآزفة، أي قرب الهلاك التام إن لم يسرعوا إلى الجادة والصواب، فالحال شبيه بالدخان الذي غشي وجوه الناس، وهذه الأخيرة مفردة قرآنية أيضا قال تعالى: فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ[14]

فالحال إذن شبيه بحال الدخان الذي هو مقدمة لاشتعال النار، ولعلها نار الفتنة التي عمت البلاد، والتي كادت تأكل الأخضر واليابس معا، وهذا تنبيه وتحذير شديد من الشاعر للأمة، لذا يصف هذه الكارثة باللعنة والطعنة، اللعنات والطعنات التي أصابت البلاد، ومن ثم احتار في الأمر واختل عليه الحال، فلم يعرف ماذا يفعل، ولا كيف يفعل، لذلك وجه النداء في شبه استغاثة لعل الأمر يتدارك قبل فوات الأوان، واستثمار الشاعر المفردة القرآنية دليل تأثر عميق بالقرآن الكريم، فهو يوظف منه ما يستطيع أن يوصل به رسالته بأحسن الطرق وأقربها لعقل وقلب المتلقي/المرسل إليه.

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

- لفظ القارعة:

يقول عثمان لوصيف في: القارعة

أيكون للمعتوه أن يزرع النطف في ضمير السدائم؟
أيكون له أن يفض خزائن الريح؟
ويسرح الأنواء
أو يغير مجرى الأشياء؟
حدقوا: إنها القارعة
إنها القارعة[15].

هذا التساؤل المحير من الشاعر والذي شبه نفسه بالمعتوه، لشدة ما أنتابه من الحيرة والقلق، حتى كاد يصاب بالجنون، ولقد ذكر الشاعر هذه الأخيرة في نفس القصيدة فيما بعد، لذلك فهو يصور لنا ما وصل إليه الحال في البلد، فمن شدة الهول أطلق عليه هذا اللفظ المهول، المرعب: القارعة.

جاء في لسان العرب: باب: قرع...ومعنى القارعة في اللغة النازلة الشديدة وتنزل عليهم بأمر عظيم ولذلك قيل ليوم القيامة: القارعة. ويقال: قرعتهم قوارع الدهر، أي أصابتهم، ونعوذ بالله من قوارع فلان ولواذعه وقوارص لسانه...والتقريع والتأنيب والتعنيف"[16].

والمعاني التي أوردها ابن منظور هنا في ما ذكرناه، هو ما أراد الشاعر قوله فما أصاب البلاد، لا هو بالهين ولا هو باليسير، بل هو شديد مريع، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ثلاث مرات.

أولها قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ [17]. وقوله تعالى: الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ[18]

وقد سميت بها سورة كاملة القارعة قال تعالى: الْقَارِعَةُ *مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ[19]

وكل هذه الآيات التي ذُكر فيها لفظ القارعة، كان بنفس المعنى أي الهول الشديد، لذا سمي به يوم القيامة.

وقد أراد شاعرنا أن يلفت انتباهنا بملفوظه هذا، عل الرسالة تصل وتعيها أذن واعية، وساعتها تنقذ البلاد والعباد مما تعيشه من ويلات ومآس وخراب. لذلك قال: انظروا: إنها القارعة إنها القارعة، وذلك لعظم المصيبة فهو يقصد يوم القيامة ذاتا وعينا لكنه لمجرد التشبيه والمقارنة.

- لفظ "سبحان":

يقول عثمان لوصيف في: آه..أواه

لمجدك نبقى نغني
وعنك نرى ونكني
فسبحان مجدك..
سبحان عينيك
آه...وسبحان آياتك اللدنية!..[20]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاء في لسان العرب باب "سبّح: التسبيح: التنزيه، وسبحان الله: معناه تنزيها لله من الصاحبة والولد، قال الزجاج: وسبحان في اللغة، تنزيه الله عز وجل عن السوء وقال ابن جني: سبحان اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه بمنزلة عثمان وعمران"[21].وقد أراد شاعرنا هذا المعنى الأخير وهو تبرئة البلد وتنزيهها من خطايا أبناء جلدتها، فهي مقدسة، مطهرة بدماء الشهداء، لذلك قال سبحان مجدك، وقد يأتي معناها بمعنى التعجب من الفعل كما سيأتي.

وقد استمد الشاعر هذا اللفظ من كتاب الله، متأثرا بدرّه المنثور، حيث ذكر اللفظ في العديد من الآيات القرآنية، نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ[22].

جاء في تفسير غريب القرآن: "قال يا ابن عباس: أخبرني عن قوله الله عز وجل: "سبحان..." قال: سبحان تنزيه له وحده لا شريك له، الذي أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى بيت المقدس، ثم رده إلى المسجد الحرام.

قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت الأعشى وهو يقول:

قلت له لما علا فخره سبحان من علقمة الفاخر[23].

وهو المعنى الذي قصدناه آنفا: التعجب. جاء في اللسان: " والعرب تقول: سبحان من كذا، إذا تعجبت منه...وذكر قول الأعشى السابق الذكر"[24].

ولعل المعنيين مقصودان فالتنزيه يقتضي التعجب والعكس، والشاعر كما نزّه تعجّب، حيث ختم السطر بعلامة التعجب. وهو ما جعلنا نفسر بأنه قصد المعنيين معا لجلب الانتباه وشد الأذهان.

- ألفاظ تساقط،ترتيل، التراقي، سباق، جنة: هذه الألفاظ جمعها الشاعر لخضر فلوس في مقطع واحد حيث يقول في: الإيراق

تساقط روحي فوق بث الأرض تاريخا نديا

شدني

قال المدى/ قالت فتاة الحي: ذاكوبي!

وكانت أنة الريح تراتيلا... ومزمارا شجيا

...

سبحان من أهداك لي قبل التلاقي

جنة خضراء غيما أحمر الذكرى تدانى

أنها قد بلغت حد التراقي

وانثنت ساقا لساق

شفة تفتر والدمع ندى فوق المآقي[25].

إن هذا الحشد والكم الهائل لألفاظ قرآنية بحتة، دليل أن شاعرنا متأثرا إلى حد كبير بآي الذكر الحكيم، ولعله تصوف من الشاعر، إذ الصوفية ينحون هذا المنحى كثيرا حيث يمتحون من ألفاظ الذكر الحكيم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

فلفظ تساقط؛ بمعنى تتساقط وتقع من علو على الأرض. قال تعالى: وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا[26]

جاء في الكشاف: "تسقط: فيه تسع قراءات :تساقط بإدغام التاء، وتتساقط بإظهار التائين، وتساقط بطرح الثانية، ويساقط بالياء وإدغام التاء، وتساقط وتسقط ويسقط وتستقط، التاء للنخلة، والياء للجذع"[27]

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

وكأن الشاعر أراد أن يقول كأن روحي تتساقط من أجل فداء الوطن ولذلك قال: فوق بث الأرض تاريخا نديا.

أما لفظ التراتيل، فهي جمع ترتيل. ففي اللسان: "وكلام رِتل، ورَتِل أي مرتّل حسن على تؤدة، ورتّل الكلام :أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه. والترتيل في القراءة الترسل فيها والتبيين من غير بغي"[28].

والشاعر ذهب هذا المذهب، فكأن الريح وأنّاته تراتيل، ويقصد هنا بأنّات الريح تراتيل؛ الحزن الذي خيّم على النفوس فصارت كأنها أنغام مزامير حزينة ترتلها الريح، فينبعث منها شبه عزاء للنفس، وهو تعبير رائع من الشاعر يصور فيه ما وصل إليه الواقع المعيش.

وكلمة الترتيل مأخوذة هي الأخرى من القرآن الكريم، كما سلف الذكر قال تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا[29]

وقال أيضا : يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ *قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [30]

جاء في جامع البيان :وقوله "ورتلناه ترتيلا" يقول: وشيئا بعد شيء علمناكه حتى تحفظته. والترتيل في القراءة الترسل والتثبت"[31].

وكل هذه المعاني قصدها الشاعر، فحتى في ترتيل الريح لأنغامه فيه ترسل وتثبت يدرك معها المتلقي عظم الفاجعة، ومن ثم يحاول شاعرنا أن يتدارك الأمر قبل فوات الأوان وهو اختيار فني منه بديع، حيث عرف كيف يبلّغ ويؤثر في المتلقي/الجمهور.

- لفظ التراقي: جاء في لسان العرب: "والترقوتان :العظمان المشرفان بين ثغرة النحر والعاتق، تكون للناس وغيرهم.

أنشد ثعلب في صفة قطاة:

قرت نطفة بين التراقي، كأنها

لدى سفط بين الجوانح مقفل.

وهي التَرقوة فَعلُوة، ولا تقل تُرقوة بالضم، وقيل هي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين وجمعها التراقي"[32].

قال تعالى: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ[33].جاء في الكشاف للزمخشري في تفسير هذه المفردة/اللفظة القرآنية: "التراقي؛ العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال. ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها"[34].

والشاعر بتأثره بالآية القرآنية أو اللفظة القرآنية، إنما يريد تقريبا ما جاء في تفسير الزمخشري، غير أنه لا يعني الموت العيني، وإنما يعني سوء الحال والمآل الذي وصلت إليه البلاد، وكأنه بلغ الحد الذي لا يمكن التفرج عليه، وإنما الإسراع في الإنقاذ لأنه لو زاد قليلا لانتهى الأمر إلى التفكك؛ تفكك أوصال البلد، ومن ثم فناؤه. وهذا التعبير من الشاعر ينمّ عن مقدرة منه ومعرفة ضليعة باللغة، بل عن قدرة فائقة في توظيف النص القرآني، والذي يدري الشاعر وليس غيره عظمة التأثير لهذه اللغة البديعة في نفسية القارئ، أو المتلقي/المرسل إليه، ومن ثم نستطيع أن نذهب إلى ما ذهب إليه المثل العربي: بلغ السيل الزبى. أي لو زاد قليلا لهلك من أمامه وجرفه وحينئذ لا ينفع الندم.

- لفظ الساق: وانثنت الساق بالساق.

ذكرت هذه اللفظة "الساق" أكثر من مرة في القرآن الكريم، غير أن ما ذكره الشاعر بالضبط والذي ذكرناه، ذكر في سورة القيامة: قال تعالى: وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ *وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ[35].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاء في تفسير الآية الكريمة، التي وظّف منها الشاعر لفظته في الكشاف قوله: "وظن المحتضر "أنه الفراق" أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة "والتفت "ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت، وعن قتادة: ماتت رجلاه فلا تحملانه، وقد كان عليهما جوالا.

وقيل: شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة، على أن الساق مثل في الشدة. وعن سعيد بن المسيب: حما ساقاه حين تلفان في أكفانه"[36].

إن هذا التعبير القرآني العظيم، الذي يصور هذا الموقف الجلل هو الذي قصده شاعرنا بالذات؛ أي أن الأمر يكاد ينتهي أو انتهى، غير أن الشاعر مبلغ الرسالة/باعث الأمل، ينهي مقطعه الشعري بقوله:

"شفة تفتر والدمع ندي فوق المآقي"[37]

فهو يأخذ من الموقف القرآني لتصوير خطورة الوضع، لكنه بحدسه الفني ويقظته يترك باب الأمل مفتوحا، فرغم المآسي يبقى الأمل في ابتسام الشفاه ساعة الشدة، وبهذا يبقى الأمل كما يدعو إليه، ويوصل نداءه الإعصاري ليوقظ النُّوَّم ويحث الهمم لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

لفظتي الجنة والنار:

ورد في الشعر الجزائري المعاصر فترة الدراسة– لفظتي الجنة والنار، سواء عناها الشعراء بالمعنى القرآني أو بمعناها الرمزي/الدلالي، وسنورد بعض النماذج الشعرية التي وظف فيها هذين اللفظين، وبأسمائهما المتعددة الواردة في القرآن الكريم.

- ألفاظ الجنة:

يقول سعد مردف في :تحية الشهيد

قوم تضاءل دونهم أهل الحنا متشامخون وغيرهم أقزام
إما اصطفى الرحمان منهم نخبة لجواره فكرامة وكرام
أو إن قضوا نحبا فتلكم جنة فيحاء لا ترقى لها أقوام
بشراك يا وطني رزقت بفتية شمخوا بأنفك في السماء وحاموا[38].

إن شاعرنا هنا يفتخر بأبناء الجزائر الذين استشهدوا والذين ما يزالون على قيد الحياة، فالذي استشهد له الجنة الفيحاء، الوارفة الظلال.

قال تعالى: إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا[39]

فالجنة هنا هي وعد الله لعباده المؤمنين، الذين آمنوا وصدقوا به ثم ماتوا على ذلك، ففي الكشاف:"...أي لا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لأن تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من ذلك... وقرئ "جنات عدن" "جنة عدن" بالرفع على الابتداء، أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها، أو بتصديق الغيب والإيمان به"[40].

- لفظتي الجنة والنار(جهنم) :

يقول عبد الرحمان بوزربة في: رسوم

أصدقائي اعذروني
أنا ليس لي غير ما ادعي
جسدي جنة
والمدى في الجفون جهنم
ليس لي غير ما تعلمون

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

ولا تسألوا..
لست أعلم..
أعذروني..
أنا ذاهب للمساء
هنالك أرسم لي في العيون
بلادا
وأحلم[41].

وظف الشاعر هنا لفظ الجنة، وقد سبق ذكره توظيفها، غير أن توظيف لفظ "جهنم" والتي هي طبقة من طبقات "النار" هو تشاؤم من الشاعر بما آل إليه الوضع، فهو لا يرى في الأفق إلا" النار" تأكل أحشاءها النهمات كما قال "عثمان لوصيف" في قصيدة الوردة، غير أنه أيضا كبقية الشعراء يترك هامشا من الحلم لعل هذه البلاد تكفكف دموعها وتضمد جراحاتها، وساعتها تعود البسمة ويرجع الأمل/الحلم.

واللفظة هذه "جهنم" مستسقاة من الذكر الحكيم، وهي مكررة كثيرا فيه نذكر منها قوله تعالى: وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا[42].

وقال أيضا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا[43]

- لفظتي: جنات عدن، السعير:

يقول محمد رقطان في: نوفمبرنا المعلِّم

إلى الله أشكوا هوان بلادي وكل إلى ربّه يُقدم
فإمّا إلى سقر للخلود وجنات عدن بها ينعم
وإما إلى درك في السعير ويلقى الجزاء الذي يعلم
نوفمبر عملاقنا السرمدي جزائرنا اليوم لا تفهم
لماذا يعربد فيها الظلام وتهتز في شعبها القيم[44].

يتضرع شاعرنا إلى الله ويشكو همه وآلامه مما آل إليه حال بلاده، ومنه صار يعزي نفسه بمآل العباد إما إلى جنة عدن، وإما إلى نار ذات جحيم وسعر فهو يمتح من القرآن الكريم، الذي لجأ إليه ووظف منه ما يتزود به في مثل هذه الظروف والأحوال، فهو كمبلغ/ مرشد لابد له منه، فهو المشكاة وهو السراج المنير، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، ومن ثم فقد أخذ من الآية الكريمة الموجودة في سورة الشورى قال تعالى : وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ[45].

يقول صاحب جامع البيان في تفسير الآية: "فريق في الجنة، فريق في السعير"، يقول منهم فريق في الجنة وهم الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما جاءهم به رسوله (ص) "وفريق في السعير "يقول ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله وخالفوا ما جاءهم به رسوله صلى الله عليه وسلم"[46].

وهذا بالذات ما رمى إليه شاعرنا في قصيدته، غير أن مراده التنبيه والتحذير من سوء المآل ولكن بذكاء وفطنة، فكأنه يقول: اعلموا يا أهل الخير والصلاح فموعدكم عند ربكم الجنة، واحذروا يا أهل الضلال والجحود فإن الله توعدكم بالنار فتوبوا إلى بارئكم واعملوا الخير لهذه البلاد ولصالح العباد.

- لفظ النار:يقول عثمان لوصيف في: حرفية

هو ذا في أوج الموت
يذر نثار الملح على الجرح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرفع راية دمه فتسيل الأرض مدادا منونا

والنار.. والنار تفح وتشتعل

هو ذا يسجد لله ويبتهل[47]

في هذه المعمعة، وهذه النار المشتعلة الملتهبة والتي كالأفعى.

ومع الدم الذي ينحدر مدادا منونا، إلا أن شاعرنا يبقى الأمل في الله فهو يتضرع، يسجد، يبتهل لله، من أجل أن يضمد جراح الأمة الجزائرية البلد الذي تآكلته الفتن والمحن، والأرض فاللجوء دائما إلى الله لمد يد العون وهو بهذا يوجه الرسالة للكل، من أجل التضرع، الدعاء، العودة إلى الله الإنقاذ البلاد والعباد. ولفظ النار تكرر كثيرا وتردد في الآي الكريمة ولنأخذ مثالا على ذلك قوله تعالى : فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ[48]

يقول صاحب الظلال في تفسيره هذه الآية: "لهم من فوقهم ظلل من النار"

وهو مشهد رعب حقا، مشهد النار في هيئة ظلل من فوقهم ظلل ومن تحتهم، وهم في طيات هذه الظلل المعتمة تلفهم وتحتوي عليهم وهي من النار.

إنه مشهد رعب يعرضه الله لعباده وهم بعد في الأرض، يملكون أن ينأوا بأنفسهم عن الطريق ويخوفهم مغبته لعلهم يجتنبونه، ويناديهم ليحذروا ويتقوا ويسلموا"[49].

وهذا ما يرمي إليه شاعرنا قصد التخويف من أجل العودة والرجوع إلى الجادة ولملمة الجراح، وإنقاذ الوطن من الفتنة التي ألمت به وأخذت تهلك الحرث والنسل.

الهوامش

1. عزف على وتر الشجا، كمال سقني، دار هومة للطباعة والنشر، ط1 ،2001،ص68.

[2]- سورة النحل، الآية:116.

[3]-تفسير القرآن العظيم، مج4، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير، تح، سامي محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ط2 1999، ص609

[4]-سورة يونس، الآية: 32.

[5] -الكشاف ج3، محمود بن عمر الزمخشري، تح، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط1 ، 1998، ص135

[6]-سورة آل عمران، الآية:110

[7]-الدخول إلى مملكة الحروف، عقاب بلخير، الجاحظية، الجزائر، ط1 ، 1999، ص7.

[8]-سورة إبراهيم، الآية:16-17.

[9]-في ظلال القرآن الكريم، مج4، ص2093.

[10]-براءة، عثمان لوصيف، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1 ،1997، ص22.

[11]-سورة النجم، الآية : 57

[12]-العمدة في غريب القرآن، علي بن أبي طالب القيس، تر وتح، يوسف بن عبد الرحمان المرعشلي، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص288.

[13]-الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، مج20، المرجع السابق، ص66.

[14]-سورة الدخان، الآية : 10-11.

[15]-براءة، المصدر السابق، ص23.

[16]-لسان العرب، ابن منظور، مج12، المرجع السابق، باب، قرع، ص76-77.

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

[17]-سورة الرعد، الآية: 31.

[18]-سورة الحاقة، الآية:1-4.

[19]-سورة القارعة، الآية:1-3.

[20]-أبجديات، عثمان لوصيف، المصدر السابق، ص40-41.

[21]-لسان العرب، ابن منظور، مج7، المرجع السابق، ص104.

[22]-سورة الإسراء، الآية:1.

[23]-تفسير غريب القرآن بالشعر العربي، حمدي الشيخ، دار اليقين، المنصورة، مصر، ط1، 2007، ص123.

[24]-لسان العرب، ابن منظور، مج7، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[25]-مرثية الرجل الذي رأى، لخضر فلوس، مصدر سابق، ص86.

[26]-سورة مريم، الآية: 25.

[27]-الكشاف للزمخشري،ج4، المرجع السابق، ص16 .

[28]-لسان العرب، ابن منظور، مج6، باب رتق، المرجع السابق، ص96.

[29]-سورة الفرقان، الآية : 32.

[30]-سورة المزمل الآية: 1-2-3-4.

[31]-جامع البيان عن التأويل أي القرآن/الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج17، دار هجر، ط1 ، مصر 2001، ص448.

[32]-لسان العرب، ابن منظور، مج2، باب ترق، المرجع السابق، ص222.

[33]-سورة القيامة، الآية:26-27.

[34]-الكشاف للزمخشري، مج6، المرجع السابق، ص271.

[35]-سورة القيامة، الآية28-30.

[36]-الكشاف للزمخشري ، مج6، المرجع السابق، ص271-272.

[37]-مرثية الرجل الذي رأى، لخضر فلوس، مصدر سابق.

[38]-يوميات قلب، سعد مردف، المصدر السابق، ص60.

[39]-سورة مريم، الآية:60-62

[40]-.الكشاف للزمخشري، مج4، المرجع السابق، ص33-34.

[41]-وشايات ناي، عبد الرحمان بوزربة، المرجع السابق، ص18.

[42]-سورة النساء، الآية:115.

[43]-سورة النساء، الآية: 120-121.

[44]-أغنية للوطن في زمن الفجيعة، محمد رقطان، المرجع السابق، ص68.

[45]-سورة الشورى، الآية:7.

[46]-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد جرير الطبري، مرجع سابق، ص449.

[47]-نمش وهديل، عثمان لوصيف، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1 ،1997، ص78-79

[48]-سورة الزمر، الآية: 15-16.

[49]-في ظلال القرآن الكريم، مج4، سيد قطب، مرجع سابق، ص3345.

المنارة للاستشارات www.manaraa.com